ومن ابنية بني الغرب في بيروت قصرٌ ذكرهُ ابن سباط في تاريخهِ (ص ٣٤ من نسخة مكتبتنا الشرقيَّة) قال انَّ بانيهُ هو الامير زين الدين عمر بن عيسى بن صالح التنوخي المتوفى سنة ٨٦٤ (١٤٥٩م) روى عنهُ انهُ «كان لهُ عناء في البنيان وهو الذي بنى القصر المشهور في مدينة بيروت وهو كائن الى الآن» اعني السنة ٩٢٦هـ(١٥٢٠م) وفيها كتب ابن سباط تاريخهُ في نسبة آل تنوخ

ومما ذكرهُ صالح عن جدهِ زين الدين صالح ناصر الدين حين انهُ لمَّا دخل بيروت بعد فتحها بيَّض جامعها الذي كان كنيسة للفرنج قال (ص ٥٨ــ٥٩):

«لمَّا كان الفرنج مستولين على بيروت كانت جماعة المسلمين قليلة ولا جامع لهم فلما قدَّر الله بترعها من يد الفرنج استقرَّت كنيستهم جامعاً وكانت تُعرف عندهم بكنيسة مار يحنَّا. كان بها صوَر طالما المسلمون بالطين وبقي الطين الى ايام الجدّ (زين الدين صالح) فبيَّضه وازال عنهُ آثار تلك الصوَر»

وآخر ما رواهُ صالح حملة بني الغرب مع الجيوش المصريَّة على قبرس وكان صالح يأمر على غراب وتحت امرهِ نحو مئة رجل وقد فصل اخبار تلك الحملة في ملحق تاريخ بيروت فروَيناها في مجموع مكتبتنا الشرقيَّ (Un dernier écho des Croisades, MFO, I. 307-327)

هذا غاية ما استفدنا من تاريخ بيروت لصالح بن يحيى عن مآثر بني الغرب في بيروت في عهد المماليك الاتراك والجراكسة المصريين الى سنة الفتح العثماني للشام سنة ١٥١٦م. (لها بقية)

نظر عام

في احوال الكنيسة القبطيَّة غير الكاثوليكيَّة

لحضرة الاب عمانويل رولان اليسوعي

اتاحت لنا العناية الالهيَّة السكنى في صعيد مصر سنين طوالًا فعاشرنا الاقباط غير الكاثوليك فضلًا عن الكاثوليك فعرفناهم حق المعرفة وذرسنا احوالهم. وهذه نبذة ملخَّصة نعرضها على قرَّاء المشرق بياناً لما تحقَّقناهُ من امور كنيستهم

معلوم انَّ اسم القبط مشتقٌّ من اسم مصر باليونانيَّة (Αἴγυπτος) يدلُّ على

امّة النصارى الذين ثبتوا على دينهم بعد الفتح الاسلامي وقد دان قسمٌ كبير منهم بالديانة المحمّدية

يُصرّح الاقباط بان اوّل من دعاهم الى النصرانيّة القديس مرقس الانجيلي تلميذ بطرس الرسول المقام منهُ رئيساً على الكنيسة الاسكندريّة (١ نحو السنة ٤٠ للمسيح. فنشأت الكنيسة بهمّتهِ وازدهرت في قرون النصرانيّة الاولى حتى بلغت قبل بدعة ديوسقورس والقائلين بالطبيعة الواحدة الى سبعة ملايين من المؤمنين في وادي النيل.

وفي الصعيد كان منشأ الرهبانيّات بعد القديسين العظيمين بولا وانطونيوس الكبير فتعدّدت الاديار واصبحت البراري اشبه بالمدن العامرة يسكنها النسّاك وقد زرنا قريباً من المئة مدينة البهناء التي كان يبلغ عدد رهبانها عشرة آلاف وراهباتها عشرين الفاً

وما لنا نذكر تلك الازمنة المباركة التي بلغت فيها الكنيسة القبطيّة اوج عزّها بشهدائها واحبارها ومعلّميها وقدّيسيها كفى بذكر اسمائهم تخليداً لمجدها فانّ اثناسيوس وانطونيوس وباخوميوس وكيرلّس واوريجانوس ومئين غيرهم لا يزال العلماء يستضيئون بنبراسهم وهم ابطال الايمان الكاثوليكي الذي ورثوهُ من الكرسي البطرسي فحفظوه بكل حرص الى ان قام ذاك المبتدع الشرّير ديوسقورس فجرّد كنيستهُ عن تلك المفاخر وعلى مثال أريوس شقّ رداء المسيح. وكان اوّلاً متحدّاً مع الكنيسة الرومانية اذ كان شمّاساً للقديس كيرلس البطريرك الاسكندري ولمّا أقيم لهُ خلفاً على كرسيّهِ اسرع كاسلافهِ وأعلم بتنصيبهِ الحبر الاعظم. فكان جواب القديس لاون الكبير تحريضاً لهُ على الثبات بالاتحاد مع خليفة القديس بطرس كما كان القديس مرقس متحدّاً مع ذلك الرسول ويوصيهِ بامور أخرى غيرها تجدها في رسالتهِ

فما كان من امر ديوسقورس إلّا انهُ بعد قليل عقّ الكنيسة الحقيقية وشقّ عصا الطاعة للحبر الروماني وجاهر ببدعة اوطيخا ناكراً طبيعتَي السيد المسيح مدّعياً انّ القائل بهما يناصر البدعة النسطوريّة الذاهبة الى القول بانّ في السيّد المسيح اقنومين فلم يفرق بين الطبيعة والاقنوم. ولم يزل يسعى بنشر بدعتهِ بين المصريين على الرغم مما

(١ راجع في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ٥١١-٥١٤) مقالة في اثبات انشاء الكنيسة الاسكندريّة على يد القديس مرقس باغراء بطرس الرسول

رُشق بسهم من الحرم في المجمع المسكوني الخلقيدوني فمات في عنادهِ سنة ٤٥١ في مدينة جَنجَرَة من آسية الصغرى. وكان نفث سمّهُ في اهل وطنهِ فطوّحهم في مهاوي الضلال

وقام بعد دُيوسقورس بطاركة كان ينتخبهم الاكليروس والشعب فجرَوْا على بدعتهِ ما خلا القليل منهم الذين ارتدُّوا الى امّهم الكنيسة الكاثوليكية. وفي السنة ١٥٨٢ عُقد مجمعٌ في القاهرة (مِنف القديمة) كاد ان يتمّ فيهِ اتحاد الكنيستين لولا بعض المتعنتين من ذوي الاغراض الشخصيَّة الذين لم يزالوا يسمرون نار البغض على الكنيسة الكاثوليكية وينسبون اليها زورًا ما ذاقهُ اجدادهم من النكبات في عهد ملوك الروم يستنيان ويوستين الثاني وغيرهما فيحقدون بسببها على امّهم التي شربوا افاويقها العذبة الصافية

وقد انتصر لدُيوسقورس يعقوب البرادعي في القرن السادس ومزّق الهاوية التي سقطت فيها الكنيسة الاسكندريَّة القبطيَّة. وإذ نال بالخبث والدهاء رتبة الاسقفيَّة تجوَّل في انحاء الجزيرة والشام ومصر مرتدياً باحقر اللباس ومتزيًّا سمتهُ بالصوم ادراكاً لغايتهِ وهو يسمّي الاساقفة وينبز الكاثوليك الخاضعين للمجمع الخلقيدوني بلقب الملكيين كانهم يتبعون آراء الملوك بينما هم خاضعون للمسيح وحدهُ فعُرفوا منذ ذاك باليعاقبة

ومن غريب امر الاقباط انَّ كتبهم الطقسية التي سبقت انفصالهم عن الكنيسة الرومانيَّة تشهد على ايمانهم القويم السابق لبدعتهم سواء كان في امر طبيعتي المسيح الالهيَّة والانسانيَّة ام الاعتراف برئاسة القديس بطرس وخلفائهِ على الكنيسة جمعاء كما ترى ذلك في ستكسارهم يوم عيد القديسين بطرس وبولس

وقد اطّلعنا على كتاب تاقورهم القبطي وفيهِ وجوب الصلاة لاجل «الكنيسة الكاثوليكية» وانما ابدلوا في الترجمة العربية كلمة الكاثوليكية بالجامعة وكفى بها ايضاً دليلًا على ضلالهم اذ انَّ كنيستهم اليوم من اصغر الكنائس الشرقية

وقد سعت الكنيسة الرومانيَّة غير مرّة الى ردّ هؤلاء الضالّين الى الحظيرة البطرسيَّة الّا ان العناد قد ضرب على ابصارهم واقرَّ بعض بطاركتهم انَّ قلوبهم اقسى من الجامد فلا ينفذ فيها اسطع انوار الحقّ فذهب سدًى عرَق ودم المرسلين

الذي تفانوا في تبشيرهم فشبّهوا قساوة قلوبهم بقساوة قلب فرعون(١

وقد اثبت هذا الحكم منذ السنة ١٧٣٠ الاب سيكار اليسوعي فكتب الى احد رصفائهِ : «ان عناد الاقباط يساوي جهلهم ولا أمل لنا ان نردّهم الى الايمان وفي القاهرة عدد كبير من نصارى طوائف مختلفة الّا ان الاقباط اكثرهم عدداً» هذا ما رواهُ الاب سيكار . وانّما اليوم قد تغيّرت الامور وبفضل التمدّن العصري وانتشار المدارس قد تحسّنت كثيراً حالة الاقباط منذ الاحتلال الانكليزي وقد اخذ نفوذ الدين الكاثوليكي يزداد يوماً بعد يوم بين الاخوة المنفصلين لاسيما منذ ثلثين سنة وانّما تعيث فيهم الشيع البروتستانيّة

رؤساء الكنيسة القبطية

هذا نظام الكنيسة القبطية : يرئسها بطريرك يدعونهُ بابا الاسكندرية وهو الانبا كيرلس الخامس يحكم على احد عشر مطراناً اكبرهم مطران القدس ثمّ مطارنة بشيريّة وقنا وبني سويف والمنيا وسنبو واسنه والقصور واسيوط وابوتيج واخميم وخرطوم . وعلى اسقفين في الجيزة ومنفلوط . ولهم اربعة اديرة : دير مار انطونيوس ومار بولس ومحارج وبرموس . وعدد الشعب قريب من ٨٠٠،٠٠٠ يخدمهم نحو ٨٠٠ كاهن في ٤٥٠ كنيسة . . . وكان عدد الاقباط في زمن الفتح الاسلامي كما سبق نحو سبعة ملايين يرعاهم ١٨١ اسقفاً

يختار البطريرك اساقفة الطائفة والكهنة واعيان الشعب . ويتحتّم على اختياره ان يكون بتولاً ولذلك لا ينتخبون الّا راهباً . ومن ميزته انهُ هو الذي يرسل الى الحبشة مطرانهم المدعو «ابونا» كما انهُ يسيم اساقفة طائفته

وكذلك يجب على الاساقفة ان يكونوا بتولين او عائشين بالعزوبة بعد وفاة زوجاتهم ومعظمهم من الرهبان . واليوم يسعى الاكليروس في وضع ناموس جديد يسمح للمتزوّجين بالاسقفيّة . وقد نشر اسقف ابوتيج رسالةً في هذا الصدد وقد جرى هو على مذهبهِ فعدل الى الزواج لولا انّ البطريرك فصلهُ عن كرسيّهِ وحرمهُ

(١) راجع اعمال البولنديين في اليوم السابع من حزيران (ص ١٠٤)

الكهنة الاقباط

يُرقّى الى الكهنوت عادةً بعض اصحاب الصنائع كالخيّاطين والحيّاكين واكثرهم يأنفون من الكهنوت ليس تواضعاً بل خوفاً من الفقر اذ لا راتب لهم غير القليل الذي يحصلون عليه من رعيّتهم. فاذا مات الكاهن راعي بلدةٍ افتاد اهلها رجلاً منهم راضياً او مرغوماً الى البطريرك ليسيمهُ كاهناً فيضع عليهِ يديهِ ثمّ يحجزهُ في احدى قلالي البطريركيّة اربعين يوماً ريثما يتعلم رُتَب كنيسته وتلاوة القدّاس فيباشر الاسرار وهو لا يعلم شيئاً من معناها ومن التعاليم الدينيّة

انّ حالة الاكليروس بين الاقباط غاية في الانحطاط. اذ يُنظَمون في سلك الكهنوت دون التهذيب والتعليم الواجبين. ولمّا رأوا ما صارت حالة الكهنة الكاثوليك من الرقي حاولوا التشبّه بهم فانشأوا مدرسةً اكليريكيّة قريباً من القاهرة إلّا ان اكثر المتربّين فيها عند نهاية دروسهم يفضّلون طلب المعاش في وظائف الحكومة. ومن ثمّ لا تكاد تجد بين الاقباط المنفصلين كاهناً عالماً يمكنهُ ان يخطب ويرشد وقد التجأوا سدًّا لهذا الخلل الى مبشّرين بروتستانت وبذلك يتلاشى الايمان من قلوب رعاياهم

الاسرار المقدّسة في الكنيسة القبطية

﴿سرّ العماد﴾ انّ جهل الاكليروس وقلّة اهتمامهِ بحفظ الطقوس قد ادّى بهم الى الخلل بتوزيع الاسرار المقدّسة. فمن ذلك انّ العماد اصبح اليوم على صورة يرتاب العقلاء من صحّتها. فانهم يتلون صلاة المعموديّة بالقبطيّة وهم لا يحسنون معناها فكثيرًا ما يمسخون بعض الفاظها الجوهريّة فبدلًا من قولهم: «انا اعمدك» (ⲁⲛⲟⲕ ⲁⲓⲣⲱⲙⲡⲧⲥ) يقولون «انا امسحك» (ⲁⲛⲟⲕ ⲁⲓⲙⲁⲥⲧⲓⲝ). وربّما ايضاً يفصلون بين العماد المادّي بالماء وصورتهِ الجوهريّة او يتلونها مرّة واحدة في عماد اطفال كثيرين. وقد حضر يوماً احد تلامذتنا رتبة المعموديّة عند الاقباط فرأى الكاهن يغمس الاولاد في الماء فقط دون تلاوة الصورة الجوهريّة واذ نبّههُ على فعلهِ اجابهُ: اني سأتلوها بعد

وحضر كاثوليكي آخر يوماً رتبة العماد في احدى كنائس الاقباط المشيّدة على

اسم القديس مينا الشهيد قريباً من المنيا وكان الاهالون أتوا بنحو مئة طفل ليعمدهم الكاهن فسألهُ الكاثوليكي: ما هي صلاة العماد عندكم ؟ فاذا هو يجهلها. فعلَّمهُ اياها الكاثوليكيّ . مع انَّ الكاهن المذكور كان قد تخرَّج في مدرسة الاقباط الكهنوتية

واخيرنا احد كهنة الاقباط المرتدّين الى الكثلكة انَّ كهنتهم لا يعمّدون إلَّا اذا دفع لهم اهل الولد اجرةً معلومة فبعض اقارب الطفل يكتفون بسماع بعض الصلوات التي تحتوي التعزيم على الشيطان فيأخذون ولدهم قبل عماده بالماء لينجوا من دفع الواتب المفروض

فهذا واشياء كثيرة غيرها جعلتنا في ريب عن صحّة المعموديّة عند الاقباط . واذا ارتدَّ احد منهم الى الكثلكة عمّدناهُ ثانيةً عمادًا شرطيًّا كما امر المجمع المقدَّس

ولمَّا أقيم السيد يوسف صدفاوي مديرًا رسوليًّا على طائفة الاقباط وصار الاتفاق على تعيين السيّد كيرلس مكار كبطريرك عليهم ارسل المجمع المقدَّس فسألهُ أتكرِّرُ عمادهُ لمَّا ارتدَّت عائلتهُ الى الكثلكة لئلَّا تبطل الاسرار اذا منحها بدون معموديَّة صحيحة . فاجاب انَّ لديهِ شهادة من حضر تكرار عماده شرطيًّا

﴿سرّ التوبة﴾ والخلل الواقع في سرّ المعموديَّة عند الاقباط طارئ ايضاً على سرّ التوبة فانَّ المتزوجين بخطاياهم الى الكاهن يكتفون باعتراف عمومي دون ذكر الخطايا مفصَّلةً لاسيما انَّهم يخافون من اعلان الكهنة لخطاياهم وكشفهم للسرّ كما اختبروا الامر سابقاً . وعليهِ ترى الكاهن يمنح الحلَّة باقصر الزمان . امَّا هو فلا يمارس هذا السرّ لنفسهِ كأنهُ معصوم عن الخطأ من يوم كهنوتهِ

﴿سرّ الزواج﴾ وفي سرّ الزواج شائبة أخرى عند الاقباط اعني بها الطلاق فكثيرًا ما يسمحون بهِ لمن طلبهُ منهم لاسيما اذا دفع الطالب للاسقف شيئاً من المال . وقد عرفنا في المنيا مطرانها الانبا باكوبوس فانَّهُ كان يجيز الطلاق لمن يطلبهُ دون تردُّد . واذ سألهُ يوماً احد الكاثوليك : ما بالكم تتساهلون في امر الطلاق على خلاف الكاثوليك الذين لم يسمحوا بهِ البتَّة فاجاب : نحن نتبع كلام الله في العهد العتيق والكاثوليك يتبعون كلامهُ في العهد الجديد وكلاهُ كلام الله — وقد اجاب كاهن قبطي آخر سألهُ كاثوليكي مثل ذلك السؤال : انَّ القديس جاورجيوس هو الموحي بالطلاق .

اشار بذلك الى النقود الانكليزية المرسومة عليها صورة ذاك الشهيد . وبهِ تحقَّق السائل انَّ المسألة اصبحت امرًا تجاريًا ليس إلَّا

﴿ سرّ الكهنوت ﴾ وان سأل السائل ما رأيكم في كهنوت الاقباط أهو صحيح ؟ اجبنا ان الامر متوقف على معموديَّتهم فان كانت المعموديَّة باطلة اصبح الكهنوت باطلًا ايضاً

ثمَّ انَّ صورة منح سرّ الكهنوت ربَّما كان مخلًّا . فانَّ بعض الاساقفة بدلًا من وضع الايدي على طالب الكهنوت يجعلون على رأسهُ الصليب . واذ سأل احد الحضور اسقفاً رآهُ صنع ذلك اجاب الاسقف : أليس الصليب اطهر من يديَّ !

امَّا اضاليل الاقباط فاخصُّها كما سبق قولهم بطبيعة واحدة في المسيح على خلاف ما ورد في كتبهم الطقسية . وكذلك ينكرون رئاسة الحبر الروماني على كل الكنيسة وهو خليفة القديس بطرس الذي اقامهُ الربّ هامةً للرسل . وينكر الاقباط وجود المطهر وهم مع ذلك يصلُّون للموتى وان قيل لهم في ذلك اجابوا : الصلوات لتعزية الاحياء (كذا)

ذكر بعض عادات يألفها الاقباط المتصلون به

انَّ الاقباط غير الكاثوليك يختنون اولادهم اذا ترعرعوا وهي عادةٌ اخذوها عن المسلمين لكنهم لا يعلقون عليها شأناً دينيا سواء ألفوها خوفاً من المسلمين او قصدوا بذلك امرًا صحيًا

ومن عاداتهم في بعض الكنائس انَّهم يشيِّدون في ساحتها احواضاً يملأونها ماء ويباركها الكاهن فيغتسل بها الرجال والاولاد . وهذا ما يصنعونهُ يوم عيد الغطاس اذ يبارك الاسقف نهر النيل فيلقي كثيرون منهم نفوسهم في الماء وذلك في زمهرير الشتاء . والاقباط من اشدّ الناس في حفظ الصوم واصوامهم اربعة : احدها الصوم الكبير يبتدئ قبل صوم الكاثوليك باسبوع ويدوم الى الفصح وهم في مدَّته يمتنعون عن الزفر والبياض والسمك ويكتفون باكل البقول المطبوخة بالزيت والثمار . والصوم الثاني صوم عيد الميلاد يصومهُ كهنة الاقباط ٤٣ يوماً والشعب ٢٣ يوماً . والثالث صوم الرسولين بطرس وبولس يدوم ثلثمئة عشر يوماً . والرابع يسبق عيد

انتقال السيدة الى السماء وطولهُ ١٥ يوماً . ومن غريب الامور انَّ عدداً وافراً من المسلمين يصومون هذا الصوم الاخير اكراماً لمريم العذراء . ومنذ زمن طويل اصبحت الاصوام الثلثة الاخيرة مقصورة على ضروب الطعام دون الانقطاع عن الاكل . أمَّا القبط الكاثوليك فانهم تقرَّبوا في صومهم من عادة الكنيسة اللاتينيَّة كما تعيَّن في مجمعهم الملي الاخير المعقود سنة ١٨٩٨ . ولا يزال القبط المنفصلون متشدِّدين في امر صيامهم . وقد سمعتُ احد اساقفتهم يقول : « ليس فريضةٌ في الدين الزم من الصوم أفلا ترى انَّ الله لم يأمر آدم وحوَّا بغير سُنَّة الصوم » (كذا) . وتشدُّد الاكليروس القبطي في ممارسة الصوم يسوقهم الى رفضهم كلَّ رخصةٍ لرعاياهم في تخفيفهِ وهذا ما دعا بكثيرين الى جحود دينهم والمروق الى الشيع البروتستانية

والحق يقال انَّ البروتستانت الاميركان والانكليز قد ولجوا في الحظيرة القبطيَّة وبدَّدوا كثيراً من خرافها وادخلوا بين الجمهور روح التساهل الديني دون ان يكترث الاكليروس القبطي لحالة رعاياهم . واذ ألفت العقلاء نظرَ البطريرك الى ابتعاد كثيرين من ابنائهِ عن كنيستهم اجاب قائلاً : انَّ في البحر اسماكاً كثيرة . فيا للأسف من هؤلاء الصيَّادين الذين لا يلتفتون صيداً ويدَّعون سمكهم لسواهم من اعداء كنيستهم

وممَّا يدعو الى الفرح نموّ الكثلكة بين الاقباط . فانَّ عدد الكاثوليك منهم كان سنة ١٨٩٧ اقلّ من خمسة آلاف . وهم اليوم اكثر من ٢٥ الفاً . لمَّا دخل المرسلون اليسوعيون في المنيا كان الكاثوليك سنة ١٨٨٧ سبعين فقط وهم اليوم ١٨٠٠ ومعظمهم من المرتدّين عن الكنيسة اليعقوبية

وكانت مدينة « ابو جرجس » القريبة من المنيا خاليةً من الكاثوليك . فلمَّا اهتمَّ احد المرسلين بفتح مدرسة فيها تغيَّرت حالتها وفيها اليوم مدرستان للاحداث من الجنسين وعدد الكاثوليك ١١٠٠ وكلهم من المثابرين على الاسرار المقدَّسة

والامل معقود بانتشار الدين الكاثوليكي في الصعيد بهمَّة الكهنة الاقباط الكاثوليك ومساعدة المرسلين . ويا ليت يزيد عدد العملة الرسوليين لحصاد ربّ البيت الذي بلغ اوانهُ . فما لنا إلَّا ان نطلب من السيد المسيح ان يأتي ملكوتهُ بين اولئك النفوس التي وجدناها مستعدَّة لقبول الزرع الصالح